

﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ ٢٧ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٤٤ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ رُوحَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ بَيْنَ الْأَنَامِ الَّتِي جَلَّاهَا دِينُ الْإِسْلَامِ فِي أَحْكَامِهِ وَمَقَاصِدِهِ الْعِظَامِ، شَمِلَتْ الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةَ الرَّائِقَةَ، وَالْخُلُقِيَّةَ الرَّائِعَةَ، لَا سِيَّمَا فِي زَمَنِ رَفَعَتْ فِيهِ الْفِتَنُ أَذْيَالَهَا، وَجَمَعَتْ لِلشَّرِّ أَجْنَادَهَا، وَتَنَامَى الْغُلُوُّ وَالْإِرْهَابُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى السَّلَامِ غَرِيزَةٌ فِطْرِيَّةٌ، وَضُرُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ، وَمَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ؛ إِذْ لَا بِنَاءَ وَلَا إِعْمَارَ، وَلَا رُقْيَى وَلَا ازْدِهَارَ، وَلَا تَنْمِيَّةَ وَلَا ابْتِكَارَ إِلَّا بِهِ، وَبِضِدِّهِ الدَّمَارُ وَالتَّبَارُ وَالْبَوَارُ.

لَقَدْ كَانَ الْعَالَمُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ تَحْكُمُهُ الْعَصَبِيَّةُ الْقَبْلِيَّةُ، يُشْعِلُونَ الْحُرُوبَ لِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ سَبْقٍ أَوْ نَيْلِ ثَأْرٍ، وَيُهْدِرُونَ فِي ذَلِكَ الدِّمَاءَ وَيُقِيمُونَ الْعَدَاوَاتِ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَعُنِيَ عِنَايَةً فَائِقَةً بِالدَّعْوَةِ إِلَى السَّلَامِ، وَبَنَدَ الْحُرُوبِ وَالنِّزَاعَاتِ، وَالْقَتْلِ وَالصَّرَاعَاتِ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ عَظِيمَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

فَالْإِسْلَامُ - وَلَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ - الَّذِي حَسَمَ شِرَّةَ الْخُطُوبِ وَالْكُرُوبِ، وَانْتَشَلَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنَ الْبُغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ إِلَى مَرَاسِي التَّوَافُقِ وَالصِّفَاءِ، وَالسَّلَامِ وَالْوَفَاءِ.

هُوَ الْبَلَسَمُ الشَّافِي لِكُلِّ عَوِيصَةٍ
أَعْيَتْ مَخَاطِرُهَا عُقُولَ آبَائِهَا
اللَّهُ قَدْ فَطَرَ النُّفُوسَ عَلَى الْهُدَى
وَأَنَارَ بِالْإِسْلَامِ دَرْبَ هُدَاتِهَا

إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ السَّلَامِ وَالسَّلَامِ، وَالْوِفَاقِ وَالْوِثَامِ، وَمَا شُرِعَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ إِلَّا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَحَيْثُمَا وَجَدَتْ الْمَصْلَحَةُ الْمُتَيَقِّنَةُ فَتَمَّ شَرْعُ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾. وَلَيْسَ مُصَادَفَةً أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ السَّلَامِ مُشْتَقَّةً مِنَ الْإِسْلَامِ؛ فَلَمْ يَعْرِفِ الْعَالَمُ السَّلَامَ إِلَّا بَعْدَ بَعْثِهِ سَيِّدِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفِي ظِلِّ شَرْيَعَةِ الْإِسْلَامِ. وَلَقَدْ جَاءَتْ لَفْظَةُ السَّلَامِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعًا، وَاللَّهُ وَجَّكَ

هُوَ السَّلَامُ، وَتَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ السَّلَامُ، وَالْجَنَّةُ دَارُ السَّلَامِ، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وَأُمَّتُنَا أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ، فَقَدْ دَلَّتْ وَقَائِعُ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ وَالْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَنَّ الدَّعَاةَ الْأُولَى وَالْأَسَاسَ لانتشار الإسلام الدعوة بالحكمة وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ، وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ، وَالْمُعَامَلَةَ الْحَسَنَةَ، حَتَّى فِي أَوْقَاتِ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهٍ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...» الْحَدِيثُ. فَأَيُّ سَلَامٍ أَعْمٌ وَأَشْمَلٌ وَأَجْمَلٌ، وَأَرْوَعٌ وَأَبْهَى وَأَكْمَلٌ مِنْ هَذَا السَّلَامِ الَّذِي يَعُمُّ الْكَوْنَ بِكَائِنَاتِهِ وَجَمَادَاتِهِ وَنَبَاتَاتِهِ؟! وَهَلْ رَأَتْ الدُّنْيَا، وَسَمِعَ التَّارِيخُ بِمَبَادِيٍّ وَمِثْلِ أَخْلَاقِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ أَشْمَلٍ وَأَكْمَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ؟! فَهَلْ يَعْيِي ذَلِكَ دُعَاةَ الْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ؟!

لَقَدْ جَاءَتْ الشَّرِيعَةُ الْعَادِلَةُ بِحِرْصِهَا عَلَى الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ دُونَ إِفْسَادٍ أَوْ تَدْمِيرٍ مُمْتَلَكَاتِ الْعَدُوِّ، فَكَيْفَ بِالْأَخِ وَالصَّدِيقِ؟! وَمَا تَقُومُ بِهِ مَنَافِعُ الْعِبَادِ، وَيُصْلِحُ عَمَارَ الْأَوْطَانِ وَالْبِلَادِ. عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنَ الْفِرَى الَّتِي أُصِقَتْ بِالْإِسْلَامِ دُونَ إِرْوَاءٍ أَوْ إِحْجَامٍ، وَكَانَتْ مَثَارَ التَّوَجُّسِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ: اتِّهَامُهُ بِالْإِرْهَابِ وَالسَّيْفِ، وَالْعُنْفِ وَالظُّلْمِ وَالْحَيْفِ. وَتِلْكَ أَكْذُوبَةٌ ظَاهِرٌ عَوَارُهَا، وَيُفَنِّدُهَا أَوَارُهَا.

فَالْإِسْلَامُ كَانَ وَلَا يَزَالُ وَسَيَظُلُّ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي عُلُوٍّ وَانْتِشَارٍ، وَانْتِصَارٍ وَازْدِهَارٍ؛ لِأَنَّهُ دَخَلَ إِلَى الْقُلُوبِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمَعْرُوفِ، لَا بِالْغِلْظَةِ وَالْحُتُوفِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

فَالْإِسْلَامُ - وَلَا غَيْرَ - هُوَ الْمِلَّةُ الَّتِي لَا تَقُومُ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ضِيَائِهَا، وَلَنْ تَرُشِدَ إِلَّا بِهَدْيِهَا وَسَنَائِهَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَالَمَ قَدْ خَسِرَ الْخُسْرَانَ الْمُبِينَ بِتَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَنَازِلِ السِّيَادَةِ

وَالرِّيَادَةِ، وَمَرَافِي السَّعَادَةِ وَالْقِيَادَةِ، لَمَّا أَوْصَدَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ دُونَ تَشْرِيعَاتِهِ أَبْوَابَهَا، وَأَرْصَدَتْ دُونَ إِنْسَانِيَّةِ تَعَالِيهِمْ أَبْوَابَهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمَانُ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْيَوْمَ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ، يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً، وَإِنَّ السَّلَامَ الْحَقِيقِيَّ، وَالْأَمْنَ الْمُجْتَمَعِي لَا يَكُونُ بِانْعِدَامِ التَّوَتُّرِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْبُلْدَانِ، بَلْ بِتَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَلَنْ يَسُودَ السَّلَامُ هَذَا الْعَالَمَ إِلَّا بِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا يَتَجَسَّدُ هَذَا الْعَدْلُ إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ الْوَرِيفِ.

عِبَادَ اللَّهِ: عَلَيْكُمْ تَحْقِيقُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْوِثَامِ. تَسَامَحُوا، تَرَاحَمُوا، تَأَلَّفُوا، اتَّحَدُوا وَلَا تَخَالَفُوا، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

صُونُوا أَوْطَانَكُمْ عَنْ أَوَائِدِ الْعُنْفِ وَالتَّخْرِيبِ، وَأَنَاوُوا عَنْ مَغَبَّاتِ التَّلَاوُمِ وَالتَّشْرِيبِ، وَالتَّخْذِيلِ وَالْإِرْجَافِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْكَرِ الْأَوْصَافِ.

كُونُوا الْمِرَاةَ الْعَاكِسَةَ لِجَمَالِ الشَّرِيعَةِ وَمَبَادِيئِهَا الْعِظَامِ، وَخَيْرِيَّتِهَا عَلَى سَائِرِ الْأَنَامِ، وَبِذَلِكَ تُفَوِّتُونَ الْفُرْصَ عَلَى اتِّهَامِ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْرِ اللَّيِّمَةِ، وَالْهَرَاءَاتِ السَّقِيمَةِ.

فَالْإِسْلَامُ وَبِكُلِّ فَخْرٍ وَاعْتِزَازٍ قَدَّمَ لِلْعَالَمِ أَعْظَمَ تَقْدُّمٍ عَرَفَهُ التَّارِيخُ، وَهُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَصِيٍّ عَلَى الْغُلُوِّ أَوْ الْإِنْهَزَامِيَّةِ وَالذُّوْبَانِ.

وَإِنَّ سَلَامَ وَأَمْنَ الدَّوْلَةِ وَاسْتِقْرَارَهَا وَهَيْبَتَهَا أَمْرٌ عَظِيمٌ، لَا يُمَكِّنُ تَجَاوُزَهُ، وَهُوَ مَسْئُولِيَّةُ الْجَمِيعِ، يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ، وَالْإِلْتِفَافُ حَوْلَ قِيَادَتِهِمْ، وَالتَّلَاحُمُ مَعَ وُلَاةِ الْأَمْرِ ضِدَّ كُلِّ مَنْ أَرَادَ بِأَمْنِهَا سُوءًا، مِنْ دُعَاةِ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ، وَمَنْ يُرِيدُ الْمَسَاسَ بِالْوَحْدَةِ الدِّينِيَّةِ، وَالْخُرُوجَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَنَزَعَ يَدَ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ.

أَلَا إِنَّ مِمَّا يُقَوِّضُ عَمَلِيَّةَ السَّلَامِ رَوَاجَ الْأَفْكَارِ الْمُتَطَرِّفَةِ، وَالتَّنْظِيمَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ، وَتَشْجِيعَ الْمَسِيرَاتِ وَالْمُظَاهَرَاتِ، وَبَثَّ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ مِنْ قَنَوَاتِ الْفِتْنَةِ وَأَبْوَاقِهَا.

يَجِبُ الْعَمَلُ عَلَى نَشْرِ ثِقَافَةِ السَّلَامِ، لَا سِيَّمَا فِي مَنَاحِجِ التَّعْلِيمِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَمَوَاقِعِ

التَّوَّاصِلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، خَاصَّةً بَيْنَ فِئَاتِ الشَّبَابِ، وَأَهْمِيَّةَ تَرْسِيخِ آيَاتِ الْحَوَارِ، فِي بَرَامِجِ تَوْعُودِيَّةٍ لِمُكَافَحَةِ التَّطَرُّفِ، وَتَعَزِيزِ قِيَمِ التَّسَامُحِ، وَإِحْلَالِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَرَفْضِ أَعْمَالِ الْعُنْفِ وَالصَّرَاعَاتِ الدَّمَوِيَّةِ، وَخِطَابِ التَّحْرِيزِ وَالْكَرَاهِيَةِ، وَدَعَوَاتِ الْعَصَبِيَّةِ وَالطَّاغُوتِيَّةِ، وَمَا يُبْثُّ الْفِتْنَةَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ هَذَا النِّدَاءَ بِالدُّخُولِ فِي شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ كَافَّةً يَصْنَعُ مُجْتَمَعًا طَاهِرًا عَفِيفًا، لَا تَشِيعُ فِيهِ الْفَاحِشَةُ، وَلَا تَرْوُجُ فِيهِ الْفِتْنَةُ، وَلَا تَتَلَفَّتُ فِيهِ الْأَعْيُنُ عَلَى الْعَوْرَاتِ، وَلَا تَطْغَى فِيهِ الشَّهَوَاتُ، تَحْكُمُهُ تَوْجِيهَاتُ رَبَّانِيَّةٍ، يَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَيَسْمَعُ التَّشْدِيدَ وَالْوَعِيدَ الشَّدِيدَ لِمَنْ يَرْمِي الْمُؤْمِنَاتِ، وَيَقْذِفُ الْعَفِيفَاتِ الْمُحْصَنَاتِ، إِنَّ بَابَ الْأَعْرَاضِ بَابٌ مُحْتَرَمٌ لَا يَجُوزُ التَّهَاوُنُ فِيهِ وَلَا التَّرَفُّقُ بِلُصُوصِهِ، وَفِي حُكْمِ الْقُرْآنِ عَلَى الزَّانِيَيْنِ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُفِيضُ السَّلَامَ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ صِحَّةِ تَوْحِيدِهِ لِلَّهِ، وَإِيمَانِهِ بِهِ، وَتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ إِلَهُ وَاحِدٌ، يَتَّجُهُ إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِ، وَجِهَةً وَاحِدَةً يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا قَلْبُهُ، فَلَا تَتَفَرَّقُ بِهِ السُّبُلُ، وَتَلْتَبِسُ بِهِ الْأَهْوَاءُ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِإِسْلَامِهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ يَعِيشُ عَقِيدَةً صَافِيَةً، وَفِكْرًا نَقِيًّا، وَحَيَاةً مُسْتَقَرَّةً، وَيَعْلَمُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسُهُ، وَيَسْكُنُ بِهِ قَلْبُهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ، وَالْعَزِيزُ الْقَاهِرُ، وَالْوَلِيُّ النَّاصِرُ.

فَإِذَا التَّجَأَ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ فَقَدْ التَّجَأَ إِلَى الْقُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَقَدْ أَمِنَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَاطْمَأَنَّ بِاللَّهِ وَاسْتَرَاحَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ، وَيُفَرِّجُ الْكُرْبَاتِ، وَيَشْفِي الْأَسْقَامَ، وَيُذْهِبُ الْآلَامَ وَالْأَحْزَانَ؛ فَالْمُؤْمِنُ فِي كَنَفِ اللَّهِ آمِنٌ وَادِعٌ، يَتَقَلَّبُ فِي الطُّمَأْنِينَةِ وَالرِّضَا، يُفِيضُ الْإِيمَانَ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قَلْبِهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَجْلِبُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالسَّلَامَ، وَيُنْفِي الْقَلْقَ وَالْإِحْبَاطَ، أَوْ الْإِحْسَاسَ بِالْيَأْسِ.